

اسم المادة: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شروطه واعتباراته وموازناته

من سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شروطه واعتباراته وموازناته
من سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أذكر نفسي والإخوة والأخوات الفضليات بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قومُوا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[1]، وبحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"[2]، فيعني نستحضر نية صالحة في هذا المجلس، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا فيه القبول والإخلاص في القول والعمل.

توقفنا في المرة السابقة في رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان بيتكلم على مسألة الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال إن هذه الأمة ميزت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة لأن الله أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم أو إسقاط واجب أو تحريم حلال أو إخبارٍ عن الله أو خلقه بباطل لكانوا متصفين بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، يعني هو استدل بحجية الإجماع على أن هذه الأمة الله –سبحانه وتعالى– وصفها بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وقال إن لو الأمة اجتمعت على أن تأمر بالمنكر أو تنهى عن المعروف يبقى كانوا بهذه الطريقة يخالفوا الوصف الذي مدحهم الله –سبحانه وتعالى– به، فاستدل بتفضيل الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حجية الإجماع.

ثم بعد ذلك شيخ الإسلام بدأ يتكلم على مسألة معاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المخاطب بهذا، وإيه معنى بلاغ الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وإيه القيم والشروط التي ينبغي أن تتحلى في الناس الذين يقومون بهذه العبودية لله –سبحانه وتعالى–؟ عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[1] حسنه الألباني
[2] صحيح مسلم



فبيقول في رسالته في كتاب الاستقامة، قال: فقد أوجب ذلك على الكفاية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والله –سبحانه وتعالى– كما أخبر بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقد أوجب ذلك على الكفاية منها، بقوله –تعالى–: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" آل عمران:١٠٤.

هنا يا جماعة نقطة مهمة؛ نقطة هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين وألا فرض كفاية؟ فرض العين يعني حاجة ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا بها وهي مقصودة بالنسبة لذات فاعلها، يعني كل واحد ربنا –سبحانه وتعالى– كلفه بهذا، فهو المقصود إن هو يعملها بعينه، يعني مثلًا زي الصلاة، هو المقصود إن كل واحد يصلي، لكن فرض الكفاية ده نوع تاني من أنواع الفروض، ده فرض مش مقصود بعينه، يعني فرض الكفاية، مقصود حصوله من غير النظر بالنسبة لذات فاعله، يعني مثلًا يقولوا صلاة الجنازة فرض كفاية، يعني المقصود أو المأمور به شرعًا إن الراجل اللي مات من المسلمين ده عدد من المسلمين يكفنوه ويغسلوه ويصلوا عليه، مش واجب على كل واحد من المسلمين إن هو ينزل يصلي عليه، لكن المقصود إن العمل ده يتعمل، مثلًا يقولوا الطب فرض كفاية، الهندسة فرض كفاية، الصناعات والحرف والأشياء التي يقوم بها مصالح العباد دي فروض كفايات، يعني إيه؟ مش واجب على كل واحد إن هو يبقى طبيب، إنما واجب على هذه الأمة إن هي تقيم الطب فيها، مش كل الناس هتعرف تبقى أطباء لكن إن هذه المهنة تكون موجودة في وسط المسلمين، محتاجين خياطين، محتاجين مهندسين، أصحاب الحرف وأصحاب الصناعات، دي اسمها فروض كفايات، يعني إيه فروض كفايات؟ يعني المقصود حصول الأمر ده من غير النظر لذات فاعله.

يبقى الفرض: فيه فرض اسمه فرض عين وفيه فرض اسمه فرض كفاية، فرض كفاية يعني حاجة ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا إن المسلمين يقيموها حتى يكفون المسلمين مؤنة هذه المهمة، فرض العين لا، ده لازم كل واحد من الناس يعملوا بعينه.

هنا شيخ الإسلام بيرجح إن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي فرض على الكفاية، ليه؟ لقول الله –سبحانه وتعالى–: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

هنا هل فرض الكفاية ده يتعين بالشروع ولا مش كله يتعين بالشروع؟ يعني إيه يتعين بالشروع؟ يعني لو واحد مثلًا قرر إن هو يبقى دكتور هل أصبح فرض عين عليه إن هو يبقى دكتور؟ لو واحد مثلًا بقى مهندس هل فرض عين إنه يبقى مهندس؟ فيه حاجات دينية زي صلاة الجنازة وفيه حاجات دنيوية زي الحرف والصناعات، فروض الكفايات هل أصبحت فرض عين على الناس اللي بدأت فيها؟ فيه خلاف بين العلماء، بعض أهل العلم قال إنه لا يتعين بالشروع في فروض الكفايات إلا في بعض فروض الكفايات، زي مثلًا الجهاد زي صلاة الجنازة زي الحج زي العمرة، يعني لو واحد قرر إن هو يصلي الجنازة وبدأ في صلاة الجنازة، يتعين عليه يعني يأثم بعد ذلك لو تركها لإن كده هو عطل مصلحة من مصالح المسلمين، وبعض أهل العلم قال كل فروض الكفايات يتعين بالشروع فيها، يعني بمجرد الإنسان يبدأ فيها تصبح كأنها فرض عين عليه في وجوب إتمامه، وبعض أهل العلم فرق ما بين فروض الكفايات في الحرف والصناعات أو في الأمور الدينية.

يعني إيه الكلام ده؟ يعني فروض الكفايات عمومًا هي تلزم المسلمين كمجموع، مش تلزم كل فرد من المسلمين. طيب لو مجموعة من المسلمين قاموا بها زي مثلًا واحد حج؛ حج تطوع، واحد خرج غازيًا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– هل ينفع في نص الغزوة يمشي ويقول والله أصل أنا ده كانت بالنسبة لي كانت نافلة وأنا ممكن أمشي براحتي؟ يقولوا لأ، بما إنه بدأ فيها وشرع فيها فإنها أصبحت لازمة له. لو إنه بدأ في الحج فإنها أصبحت لازمة له، بما إنه بدأ في العمرة فإنها أصبحت لازمة له، بما إنه درس الطب واتعين وبقى بيذاكر كويس وبقى شاطر وخد شهادات فأصبح لازمًا له.

بعض أهل العلم قال إن فروض الكفايات تتعين بالشروع فيها، يعني تصبح فروض أعيان على اللي بدأها، وبعض أهل العلم قال لأ، هي لا تتعين بالشروع فيها، إنما المقصود إنها تتعمل بأي إنسان كائنا من كان، لكن فيه بعض العبادات منصوص على إن الإنسان إذا بدأ فيها حتى وإن كانت فروض كفايات لابد إن هو يتمها: زي الجهاد، وزي صلاة الجنازة، وزي الحج والعمرة.



هنا شيخ الإسلام بيرجح يا جماعة إن الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسوا واجبًا عينيًا على جميع المسلمين، إنما هم واجبًا عينيًا على الكفاية، يعني لو المهمة تكون بواحد أو باتنين أو بتلاتة أو بعشرة أو بعشرين على حسب ما المهمة تحتاج الناس يقيموها، ومش لازم كل واحد يعمل نفس الحاجة، ومش لازم كل الناس تأمر وتنهى بنفس الطريق، إنما المهم إن ده يحصل وإن العبودية دي تُحَقَق.

فبيقول: فقد أوجب ذلك -أي الله -سبحانه وتعالى- على الكفاية منها بقوله -تعالى-: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

يبقى يا جماعة هنا هل الدعوة إلى الله؟ هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فرض عين على كل إنسان؟ ولا فرض كفاية؟ ولا أمر مستحب؟ المسألة فيها تفاوت، لكن هنا شيخ الإسلام بيرجح إن هي فرض كفاية.

طيب يعني إيه كفاية؟ يعني الأمة كلها عليها إنها تقيم منها من يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- حتى يكتفي المسلمون من هذه المهمة أو تقام هذه المهمة في أوساط المسلمين.

طيب لو حصل إن فيه عجز، مين يأثم؟ هيجي بقى شيخ الإسلام وهو بيوضح بيقول: إن أمر الكفاية يأثم فيه كل إنسان يقدر على أن يتم هذه المهمة كل على قدره، كل على حسب قدرته، كل على حسب استطاعته.

يبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمفهومه العام بمفهومه الواسع، شيخ الإسلام بيرجح إن هو فرض كفاية.

هل ده معناه إن بقية الأمة أو بقية الناس ما تعملش ده؟ يعني لو فيه مجموعة من العلماء بيقوموا بده، وفيه مجموعة من أهل الخير بيفعلوا ده؟ هل ده معناه إن بقية الأمة ما تعملوش؟ يقولوا: لا، فيه فرق بين واحد دي وظيفته الرئيسية كعبودية معينة ربنا -سبحانه وتعالى- أمره بيها، وفرق إن فيه واحد بيعملها من باب إن هو متطوع أو إن هو يستزيد أو هو يحتاج إلى ذلك أو هو يكون بذلك متطوعًا، يبقى فيه فرق إن فيه حاجة مأمور بها شرعًا تلزم الجميع، وفرق إن هذا اللزوم للجميع لا يعني إن باقي المسلمين كل على قدره يجتهد فيها قدر استطاعته. لكن حكم التأثيم إن أنا هل أقول إن فلان يأثم وفلان يأثم إن هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهنا الشيخ الإسلام بيرجح أنها فرض كفاية يعني المقصود أنها تحصل من غير النظر لذات الفاعل، يعني المقصود إنها تحصل عمومًا.

بيقول بقى بعد كده بيتكلم على مسألة يعني إيه الدعوة؟ ويعني إيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو إيه حده؟ بيقول: "وإذا أخبر بوقوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها لم يكن من شرط ذلك أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي منها إلى كل مكلف في العالم، إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة، فكيف يُشْتَرَط فيما هو من توابعها، بل الشرط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه كان التفريط منهم لا منه". هنا شيخ الإسلام يا جماعة بينقل التقرير من مسألة حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مسألة معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني إيه أنا المفروض إن أنا أبلغ دين الله، لحد فين؟ يعني هل مفروض إن أنا أوصل لواحد واحد في الحياة أوصل له كل معلومة من معلومات الدين وكل معلومة من معلومات أنا وصلت إليها؟ يعني هل معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كل مكلف -كل مكلف يعني كل واحد ربنا كلفه، يعني كل إنسان مخاطب بالشرع- هل كل مكلف المقصود في إن هو يصل إليه كل أنواع الدين؟ هنا شيخ الإسلام بيقول: لأ، مش المقصود ذلك، إن مش مقصود ولا معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن احنا نروح نخبط على باب كل واحد، وواحد واحد من الناس نفهمه كل حاجة في الدين، كده يبقى احنا كده أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، أومال معنى إيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللي ربنا أمرنا به؟ إيه معنى هذا الكلام؟ بيقول: إنه مش شرط إنه يصل أمر الآمر ونهي الناهي إلى كل مكلف في العالم. أومال إيه الشرط؟ وبيقول وده مش شرط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلًا، ولا ده مخاطب به الناس بمعنى تبليغ الرسالة، أومال إيه المعنى اللي شيخ الإسلام هنا هيشرحه لنا في معنى الدعوة أو معنى تبليغ الرسالة أو معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ بيقول: "إن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم" يعني إيه يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم؟ يعني إن



اللي عايز دين يلاقي دين، يعني يبقى الدين متاح عند الجميع، يعني يسهل وصول الناس إليه، يعني كل من هو مخاطب بالشرع إذا أراد أن يصل إلى الدين فيكون الدين موجود، يكون حد بيأمر وينهى، يكون الدين في حياة الناس يسهل وصول الناس إليه، يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، يعني الناس اللي أمروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبقوا وسط الناس حتى إن الناس لو عايزة تعرف الخير والشر ولو إن الشر هيبقى بعض الناس تعمله في المجتمع يبقى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يكونوا في وسط هؤلاء، يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، يعني بيسهلوا طريق الدعوة لمن شاء، وبيزيلوا العوائق سواء العوائق دي كانت عوائق مادية أو عوائق شبهات أو عوائق شهوات يبينوا للناس الحق من الباطل، يتمكن الناس من وصول الحق إليهم، ده معنى بلاغ الرسالة.

يعني إيه بلاغ الرسالة يعني إن المكلفون –عند شيخ الإسلام بيعرفها– أن يتمكن المكلفون من وصول الدعوة إليهم.

طب افرض هو بقى متمكن وبقى عارف إن فيه شيخ في المنطقة الفلانية وبقى عارف إن فيه كتاب مشروح في الحتة الفلانية وبقى عارف إن فيه دورة في المكان الفلاني وبقى عارف إن فيه تحفيظ في المكان الفلاني هو بعد ذلك مش عايز يسمع ومش عايز يعرف ومش عايز يروح ومش عايز يأتمر بهذه الأوامر بل هو بينه وبين نفسه بيخلو وبيعصي وبيعمل معاصي وبيعمل كبائر ومش عايز يسمع، هل هنا الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يجلدوا نفسهم، ويقولوا بقى احنا غلطانين، وأصل احنا ما عرفناش نوصل للناس، وأصل احنا ماوصلناش للناس الحجة، وماوصلناش للناس البيان؟ يقول: لأ، الكلام ده مش صحيح، إنما إذا فرطوا –يعني إذا فرط المكلفون– ولم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه –يعني لو الفاعل اللي هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، تمكن أو مكن الناس من وصوله بقى سهل في وصول الدين إلى الناس وبقى ما عدش فيه عوائق عند الناس، إنما تصل إلى الدين وتتعلم دين وتقرأ دين وتسمع دين وتبحث عن دين، لو الناس بعد كده بقى هي قصرت في ذلك، وابتعدت عن الدين راغبة مختارة لذلك كان التفريط منهم لا منه، يعني كان التفريط هنا من الناس مش من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ودي نقطة يا جماعة مهمة إن فيه بعض الدعاة إلى الله عنده جلد للذات؛ إن هو كل ما يشوف معصية وكل ما يشوف وجوه وكل ما يشوف حاجة غلط دايمًا يقول: أنا اللي غلطان وأنا لو كنت وصلت للناس وأنا لو كنت قلت لهم وأنا لو كنت عملت لهم، في حين إن هو فعلًا وصَّل للناس كلام كتير وفعلًا أقنع الناس وفعلًا اجتهد على الناس اجتهاد شديد جدًا، لكن خلاص هو كل واحد بيختار اختياره وكل إنسان مسئول عن اختياره، وكل إنسان حر في اختياره، يعني فيه دورس مهم اسمه حرية الإرادة موجود على الساوند كلاود أنصحكم تسمعوه، بيتكلم عن هذا المفهوم؛ مفهوم حرية الإرادة، إن احنا بنخاطب في الناس إرادتهم الحرة، إن كل إنسان بيختار اللي هو عايزه، لكن مش معنى إن أنا بدعو إلى الله إن أنا أسيطر على الناس ولا إن أنا أؤطر الناس في إطار إن هم يمشوا ورايا بكل طريق، ولا معنى ذلك إن أنا أتسلط على الناس إن كل واحد يعمل اللي أنا هقول له عليه، ولا كذلك معنى ذلك إن أنا أقول والله أصل كل واحد بقى حر فأنا مش هقول، إنما أن يتمكن المكلفون من الوصول إلى الخير والشر، إن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في وسط الناس يأمر وينهى ويعلم ويوضح ويبين، ويبين للناس الحلال من الحرام، بعد ذلك من شاء أن يقبل فليقبل ومن شاء أن يرفض فليرفض، من شاء أن يؤمن فليؤمن ومن شاء أن يكفر فليكفر، الله –سبحانه وتعالى– يحاسب كل إنسان على إرادته وعلى اختياره وعلى أعماله أقواله.

يبقى شيخ الإسلام يا جماعة في المقطعين دول وضح معنيين، المعنى الأول حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضح إن هو فرض كفاية، رقم اتنين معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعنى تبليغ الرسالة ليس معناه إن الأمر والنهي يصل لكل واحد في العالم، إنما معناه إن الناس يكون سهل الوصول إلى الدين، أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم.

يبقى هنا وضَّح الحكم؛ حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد كده بدأ يستطرد على مسألة فرض الكفاية بيقول: وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يجب على كل أحد بعينه، هنا بدأ يوضح إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس فرض عين إنما هو فرض كفاية بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن.



يبقى هنا شيخ الإسلام بيرجح في باب أصول الفقه فيه أنواع للفروض: فيه فرض اسمه فرض العين، وفيه فرض اسمه فرض الكفاية، كما وضحت منذ قليل، فهنا هو بيؤكد على هذا المعنى إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس فرضًا على كل أحد، يعني لو انتِ معدية على معصية فلقيتي واحد أنكر والواحد ده حسن البيان وحسن الحجة وهو تكلم في هذا المنكر وبين للناس الحق من الباطل مش لازم كل واحد معدي يقول نفس الكلام، خلاص ما دام فلان قالها فقد كفانا.

قصة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب في سقيفة بني ساعدة، وبعدين بيقول: ولقد زورت مقالة ثم قام الصديق فتكلم فبيقول: إن أبو بكر الصديق تكلم بما قال أفضل مما قلت. عمر بيقول أنا كنت محضر كلام فلما أبو بكر تكلم أنا انبهرت بكلام أبي بكر، فهنا كفاية خلاص ما دام المهمة وصلت، وما دام المعنى وصل، وما دام الحجة وصلت، وما دام البيان وصل، وما دام الخير وصل، وما دام الراية رُفِعت، وما دام دين ربنا –سبحانه وتعالى– علا، فمش لازم كل واحد يقول نفس الكلام مرة أخرى.

فهنا بيوضح شيخ الإسلام مرة أخرى هذا فبيقول: "وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضًا كذلك". هنا بدأ بيتكلم على إن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُلْحق به حكم الجهاد، لإن الجهاد عند المسلمين كما وضّح وكما وضحنا في الدرس السابق أنه من تمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن مما تميز به الجهاد عند المسلمين عن غيره من باقي الأمم السابقة زي بني إسرائيل، إنه كان لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: "فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته"، هنا شيخ الإسلام بيوضح معنى جميل قوي يا جماعة، يتكلم على معنى إن إذا الناس ما قامتش بالدعوة إلى الله، إذا ما قامتش بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هيحصل إيه؟ بيقول هيحصل إثم، طيب هل الناس كلها تأثم؟ بيقول لا، هيأثم كل قادر، يعني كل إنسان يقدر على إن هو يبين، كل إنسان يقدر على الوعظ، وكل إنسان عنده من العلم والخير ما به يأمر وينهى، ثم هو تخلف عن ذلك وترك الحرص على الناس وترك مسئوليته تجاه المجتمع، وترك إيجابيته تجاه المجتمع، وترك الخير للناس، وترك دلالة الناس على الخير، يأثم بقدر استطاعته. كل واحد يأثم بحسب قدرته. إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته يعني حتى تحصل الكفاية، يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لو الناس ما قامتش به وما عملتوش هنا بيأثم الجميع كلٌ على حسب قدرته حتى تحصل الكفاية، إذ هو واجب في هذه الحالة التي قصر فيها الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هنا أصبح الوجوب متعين على كل قادر على أن يفعل ذلك.

هنا شيخ الإسلام منصف ودقيق في تعبيراته؛ من فروض الكفايات مثلًا الحرف والصناعات يعني واجب على المسلمين إن هم يطلعوا مهندسين ويطلعوا أطباء طب افرض المسلمين ما طلعوش مهندسين وأطباء مين يأثم؟ يقول لك يأثم كل قادر على ذلك، يعني تأثم الأمة؟ يقول له بالمجموع كده في الكلام نقول تأثم الأمة، لكن عند التدقيق هو مش كل واحد في الأمة هيأثم، لإن هو واحد ما عندوش قدرة إنه يبقى دكتور ولا عنده فلوس يبقى دكتور ولا عنده عقلية إنه يبقى دكتور ولا عنده مساحة إنه يبقى دكتور فهو هيأثم ليه ده؟ لكن هيأثم كل قادر بحسب قدرته. وكذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن الإنسان اللي عنده حافظة قوية، اللي عنده عقلية قوية، اللي عنده بيان قوي، اللي عنده حسن تعبير، اللي نشأ في بلاد تتكلم اللغة العربية، اللي نشأ في بيئات علمية فيها علوم سهلة وفيها مساحة من التعليم.

بيقول: إذ هو واجب على إنسان بحسب قدرته، هنا بيقول إن أهل الدعوة إلى الله إذا لم يقوموا بواجبهم هيبقى الوجوب هنا مش على الجميع، إنما على كل إنسان على حسب قدرته، اللي نشأ في بلد فيها علم، اللي نشأ في بيئات يستطيع إنه يُحصل فيها علم ويجلب فيها علم، ثم الناس في ضياع لا تجد من يعلمها ولا تجد من يأخذ بأيديهم، هنا هيبقى لو قصر الناس ولم يستطيع المكلفون، لم يستطع الناس المخاطبة بالشرع، وهذا تعبير عن كل المسلمين، إذا لم يستطع هؤلاء أن يصلوا إلى الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– هيأثم كل إنسان يقدر على الدعوة



إلى الله، ويقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل عالم وكل متعلم وكل داعي وكل من عنده القدرة على أن يفعل ذلك ثم هو تخلى عن هذه المهمة لأجل شيء آخر، فهو هنا يأثم على حسب قدرته.

فبيقول: إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"[٣]، هنا بدأ يتكلم على مسألة إن الحكم العام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحكم إن هو فرض كفاية، طيب ما الحديث ده بيقول من رأى منكم منكرًا، هنا طب ما هو الحديث مش بيتكلم على فرض الكفاية، الحديث بيتكلم هنا على إيه؟ على فرض العين، طيب ما هو من رأى منكم منكرًا ده أي إنسان ممكن يرى ممنكرًا وهو ماشي، فهنا بدأ هو بيستدل بالحديث ده إن ده في حال إذا قصر الناس عن توضيح المنكر والنهي عنه وتوضيح المعروف والأمر به، فهنا هيبدأ يُشاهد في وسط المجتمع هيبدأ يُشاهد في وسط الناس.

طيب من رأى منكم منكرًا يعمل إيه؟ فقال: على قدره، النبي –عليه الصلاة والسلام– هنا وضع مسألة: بيده، بلسانه، بقلبه، هنا درجات متفاوتة بين الناس، فيه واحد يقدر على أن يغير بيده، واحد مثلًا شاف ابنه بيتفرج على مثلًا حاجة حرام، شاف مثلًا ابنه بيشرب مخدرات، هو يقدر إن هو يزعق له، هو يقدر إن هو يفض القعدة دي، هو يقدر إن هو يغير هذا بكلمة واحدة، يقول له: قم اعمل شيل حط يقدر إن هو يغير هذا في لحظة واحدة فده يستطيع بيده. أو مثلًا سلطان يعني واحد في سلطانه؛ واحد ظابط مثلًا معدي ولقى واحد بيسرق، هل يقول له اتق الله؟ لا، هو مش مجال دعوة هنا إنما هو يستطيع إن هو يغير ذلك إيه؟ بيده.

فهنا يبقى مسألة بيده دي متفاوتة، طب افرض واحد مش عارف ما يقدر ما عندوش سلطان إن هو يقدر يمنع ده، وما عندوش قوة إنه يقدر يمنع ده، وما عندوش العلاقة اللي تقدر تمنع بيها ده، لإن ده محتاج قوة مجتمعية وقوة علاقة وقدرة على ذلك، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– هنا ده نقله درجة أخرى قال له إيه؟ فبلسانه إن هو يبدأ يكلمه بلسانه. طيب افرض هو ما عندوش قدرة على إنه يتكلم بلسانه قال: فبقلبه، هنا شيخ الإسلام بيستدل بهذا الحديث على أنه كلٌ حسب قدرته. إن فيه واحد يقدر بيده، فيه واحد يقدر بلسانه، فيه واحد يقدر بقلبه، قال: وذلك أضعف الإيمان، وإذا كان كذلك فمعلوم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد من أعظم المعروف الذي أمرنا به ومن النهي عن المنكر.

بدأ بقى شيخ الإسلام يتكلم، طب إيه يا جماعة الحاجات –القيم– التي يؤمر بها؟ وإيه الأشياء التي ينهى عنها؟ يعني احنا لو هو بيتكلم على معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال إن معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس معناه إن الدعوة تصل إلى كل واحد من الناس بكل طريق في العالم، إنما معناه أن يتمكن المكلفون من الوصول إلى الدين إذا احتاجوا إليه، طيب يأمروا بقى بإيه؟ الناس اللي هتقعد وفي وسط الناس وتتكلم وسط الناس وعايشة وسط الناس ويتمكن الناس من الوصول إليهم، مفروض يكلموا الناس في إيه؟ إيه المعروف وإيه المنكر؟ إيه معنى المعروف والمنكر؟ إيه القيم التي يدعى الناس إليها؟ فقال: "من هذا إقامة الحدود على من خرج عن شريعة الله، ويجب على أولي الأمر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فيأمرونهم بما أمر الله بمثل شرائع الإسلام".

هنا شيخ الإسلام بيتكلم على شرائع الإسلام وهي: الصلوات الخمس في مواقيتها، والصدقات المشروعة اللي هي الزكاة، والصوم المشروع، وحج البيت الحرام، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، مثل ما أمر الله به ورسوله من الأمور الباطنة والظاهرة، الإخلاص: إخلاص الدين مثل إخلاص الدين لله والتوكل على

[٣] صحيح مسلم

الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، والرجاء لرحمة الله والخشية من عذاب الله، والصبر لحكم الله والتسليم لأمر الله، مثل صدق الحديث والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات إلى أهلها، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والتعاون على البر والتقوى، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك، والعدل في المقال والفعال، ثم الندب إلى مكارم الأخلاق مثل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، من الأمر بالمعروف كذلك الأمر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة، وغير ذلك.

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله؛ وهو أن يدعو مع الله إلهًا آخر كالشمس والقمر والكواكب أو كملك من الملايين أو نبي من الأنبياء أو رجل من الصالحين أو أحد من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يُدعى من دون الله –تعالى– أو يستغاث به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله، ومن المنكر كل ما حرمه الله كقتل النفس بغير الحق، وأكل أموال الناس بالباطل بالغصب، أو الربا أو الميسر، أو البيوع والمعاملات التي نهى عنها النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكذلك قطيعة الأرحام وعقوق الوالدين، وتطفيف المكيال والميزان، والإثم والبغي والعبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله وغير ذلك.

هنا شيخ الإسلام يا جماعة في هذا المقطع وفي هذا الجزء من الكتاب يتكلم عن القيم الرئيسية التي يدعى الناس إليها؛ لو احنا قلنا احنا يا جماعة بندعو إلى الله تدعو إلى الإيه يعني؟ انت عايز إيه مني؟ فهنا بيوضح لك إن أنا يعني إيه بادعو إلى الله؟ يعني بكلم الناس على الإيمان بالله؟ يعني بكلم الناس عن الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، بشرح لهم قصص الأنبياء وبشرح لهم سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، بشرح لهم اليوم الآخر، وبشرح لهم القدر ومعاني القدر وقانون الأسباب وكيف يتعامل الله –سبحانه وتعالى– مع خلقه، إنك انت بتعلمهم ازاي يعبدوا ربنا، بتعلمهم الصلاة، بتعلميهم الزكاة، بتعلميهم يصوموا ازاي ويحجوا ازاي وإيه معاني الصيام، بتبلغيهم دين الله –سبحانه وتعالى–، بتكلميهم عن الحج بتكلميهم عن المعاني القلبية، بتكلميهم عن الصدق مع الله والإخلاص مع الله والتوكل على الله، معنى التوكل ويعني إيه اعتماد القلب على الله؟ يعني إيه الرجاء في الله؟ بتعملي درس عن خشية الله، ودرس تاني عن محبة الله، ودرس تالت عن الصبر لحكم الله، ودرس عن التسليم والإذعان لأمر الله، ودرس عن صدق الحديث والأخلاق: العفة والحياء. والحياء يا جماعة من أهم القيم الشرعية، يعني الحياء من القيم التي ينبغي أن تخاطب بها النساء والرجال عمومًا، يعني للأسف يمن القيم التي كادت أن تضيع في كثير من المجتمعات، الحياء قيمة عالية جدًا، لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء، الحياء في المشية، "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ" القصص:٢٥، إن الست يبقى عندها حياء، حياء من صوتها، صوتها ما يبقاش عالي، مشيتها؛ ما تبقاش ماشية متبخترة في وسط الرجال، إن هي بتستحي في وسط الرجال، إنها تقر في البيت "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ" الأحزاب:٣٣، ما تختلطش بالرجال، ما تبقاش خراجة ولّاجة، الدعوات الآن بقت دعوات قليلة الحياء؛ قليلة الحياء في اللبس وقليلة الحياء في الكلام وقليلة الحياء في المعاملات، وقليلة الحياء في الزواج والطلاق، قليلة الحياء في المعاملات عمومًا. إن احنا يا جماعة محتاجين نرجع بالناس إلى دين الله –سبحانه وتعالى–، نخاطبهم بالصدق، نخاطبهم بالحياء، نخاطبهم بالوفاء بالعهود، نخاطبهم بأداء الأمانات، "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" النساء:٥٨، هذه من أعلى القيم الشرعية؛ قيمة العدل. العدل الذي به قامت السماوات والأرض، العدل أداء الحقوق، العدل التسوية بين متساويين والمخالفة بين المختلفين، العدل معرفة الحقوق ومعرفة الحريات وكل إنسان ياخد حقه ويمارس حريته في حقه، ومين اللي بيحق الحق؟ الله –سبحانه وتعالى–، إيه معنى الحقوق؟ وإيه حق الرجل؟ وإيه حق الطفل؟ وإيه حق الزوجة؟ وإيه حق الابن؟ وإيه حق الأم؟ وإيه حق الجار؟ وإيه حق الصاحب؟ إيه الحقوق الشرعية؟

إن احنا نخاطب الناس بقيم الدين، إن لما يقول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أنا بأمر الناس بما أمر الله به، بالأمانات، البر، بر الوالدين، صلة الأرحام، التعاون على البر والتقوى، الناس تعين بعضها البعض، ربنا –سبحانه وتعالى– توعد الذين يمنعون الماعون، الماعون اللي الناس بتستعين به على الحاجات البيتية، إن احنا نعين بعضنا البعض على الحياة وعلى أمور الدين وأمور الدنيا.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإحسان إلى الجار، الإحسان إلى اليتيم، الإحسان إلى المسكين، الإحسان إلى ابن السبيل، الإحسان إلى الصاحب، الإحسان إلى الزوجة، الإحسان إلى المملوك، العدل في الأفعال، الندب إلى مكارم الأخلاق.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تجميع الناس؛ الأمر بالائتلاف، الأمر بالصف الواحد والكلمة الواحدة والاجتماع الواحد والنهي عن الاختلاف والفرقة.

فهنا شيخ الإسلام بيتكلم على مسألة مهمة جدًا على معالم واضحة جدًا في معالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيه القيم الشرعية التي يُدعى الناس إليها؟ وإيه القيم التي يُنهى الناس عنها؟ يُنهى الناس عن الشرك بالله –سبحانه وتعالى–، يُنهى الناس عن عبودية غير الله –سبحانه وتعالى– سواء بقى شياطين كواكب شمس قمر نجوم صليب، الشرك مع الله –سبحانه وتعالى–، قبور؛ إنه يستغاث بغير الله أو يُسجد لغير الله، كل هذا من الأشياء التي ينبغي أن يُنهى الناس عنها.

النهي عن المنكر النهي عن قتل النفس، إن احنا نعظم ما عظم الله –سبحانه وتعالى–، ربنا عظم الأعراض وعظم الأموال وعظم الدماء، فلا ينبغي أن نقتل النفس التي حرم الله –سبحانه وتعالى–، لا ينبغي أن نأخذ مال بغير حق، أكل أموال الناس بالباطل. ينبغي أن يُنهى الناس عن أكل أموال الناس بالباطل، يُنهى الناس عن المعاملات الحرام، الربا والميسر، البيع المحرم، الاحتكار، ينهى الناس عن الغصب والسرقة، ينهى الناس عن الربا، ينهى الناس عن قطيعة الأرحام، ينهى الناس عن سوء الأخلاق مع الوالدين عن عقوق الوالدين، ينهى الناس عن الظلم في المكيال والميزان وتطفيف المكيال والميزان، والتعامل بميزانين ومعيارين، ولما نكون بنتعامل مع فلان اللي احنا بنحبه نتعامل بطريقة ولما نكون بنتعامل مع فلان اللي احنا بنكرهه بنتعامل بطريقة تانية، ولما نكون بنوزن الحاجة اللي احنا بنحبها نوزنها بالطريقة اللي احنا عايزينها، ونستوفي المكيال والميزان لما نكون احنا اللي هناخد، ولما نكون بنبيع نطفف المكيال والميزان ونحاول ننقص من حقوق الناس عشان احنا نستفيد استفادة على هامش البيع والشراء، وتطفيف المكيال، ينهى عن كل ذلك.

يُنهى عن الإثم والبغي، ينهى عن البدع والأشياء التي ابتدعها الناس حتى يتقربون بها إلى الله وهي ليست من عبودية الله –سبحانه وتعالى– في شيء، بل لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله –سبحانه وتعالى–، فتقربوا إلى الله –سبحانه وتعالى– بأديان مبتدعة، وعبادات مبتدعة، وأفكار مبتدعة، وتصورات مبتدعة عن الله –سبحانه وتعالى–، يُنهى عن كل ذلك.

هنا شيخ الإسلام يا جماعة بيوضح لنا معالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، القيم الرئيسية مفردات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلام يدعى الناس وما الذي ينهى عنه الناس؟

بس هو هنا قبل ما يتكلم في الموضوع ده ذكر جملتين صراحة محتاجين نقف معاهم وقفة؛ بيقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب على أولي الأمر، هنا بدأ يتكلم على تخصيص شوية على مسألة فرض الكفاية، يعني بيقول إن هو فرض إن يُمَكَّن المكلفون من وصول الدعوة إلى الله، طب مين اللي مخاطب ابتداء بتسهيل وصول الدين إلى الناس؟ مين المخاطب ابتداء بتعليم الدين للناس؟ الجميع مخاطب بذلك، والأمة مخاطبة بذلك، هو فرض على الأمة بمجموعها، لكن هو هنا بدأ يتكلم شيخ الإسلام على مسألة من المسائل المهمة جدًا بيقول: أنه يجب على أولي الأمر، يعني كل من تولى أمر؟ مين بقى أولي الأمر؟ شيخ الإسلام بيُعَرِّف مين أولي الأمر؟ بيقول: وأولي الأمر هم العلماء والأمراء والمشايخ، قال: "وهم علماء كل طائفة وأمرائها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر".

فهنا بدأ شيخ الإسلام بيتكلم على إن واجب على كل من تعلم دين الله، ومن عنده القدرة على تعليم الناس وعلى أمر الناس بالمعروف ونهي الناس عن المنكر أن يقوم بذلك، واجب على كل شيخ وعلى كل من له سلطان أن يسهل الدين للناس، وأن يفرح بتدين الناس، وأن يعين الناس على أمر الدين، وأن يسهل وصول الناس إلى الدين ووصول الدين إلى الناس.



فهنا بيقول وهو يجب على أولي الأمر، مين أولي الأمر؟ أولي الأمر كتير من ناس متخيل إن هم السلطان، لا، أولي الأمر هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيعرفها بيقول: وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها، يبقى هو قال إن أولي الأمر طائفتين، العلماء والأمراء، يعني ربنا لما يقول: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ" النساء:٥٩، مين المخاطب بذلك؟ المخاطب بذلك هم أولو الأمر والأمراء الذين يقومون بأمر الدين، والذين يطيعون أمر الله –سبحانه وتعالى–، فجعل الله طاعة العلماء والأمراء في المعروف، إنما الطاعة في المعروف، جعل كل طاعة لله –سبحانه وتعالى– طاعة مطلقة، وكل طاعة للبشر طاعة مقيدة بالمعروف، يعني الوحيد الذي طاعته مطلقة من البشر هو النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، لأنه مُبَلِّغ عن الله –سبحانه وتعالى–، لأن الله –سبحانه وتعالى– ارتضاه أن يكون واسطة في البلاغ عنه، ليس في العبودية، يعني ربنا –سبحانه وتعالى– ارتضى إن الذي يبلغ دين الله هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، لذلك جعل للنبي مطاعة مختلفة عن كل طاعات البشر، فيما سوى ذلك من الطاعات اللي هو طاعة الزوجة لزوجها، طاعة الابن لأمه، طاعة الشعب لولي أمرهم الذي يحكمهم بالشرع، طاعة الناس في أمراء السفر "لا يحلُّ لثلاثةٍ يكونونَ بفلاةٍ من الأرضِ إلَّا أمَّروا عليهِم أحدَهم"[٤]، طاعة مدير المؤسسة اللي احنا بنشتغل فيها، كل الطاعات بعد ذلك طاعات مقيدة، مقيدة بإيه؟ مقيدة "لا طَاعَةَ في مَعْصِيَةِ اللهِ، إنَّما الطَّاعَةُ في المَعروفِ"[٥].

فهنا شيخ الإسلام يا جماعة بيوضح معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: هو أن يتمكن المكلفون من وصول الدعوة إليهم. بدأ يعرف معنى حكم الأمر إن هو فرض كفاية ليس فرض عين، يعرف معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعرف من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقال إنه مخاطب بذلك الأمة جميعًا ولكن هو واجب على أولي الأمر، وبعد كده بدأ يتكلم على معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال إيه القيم التي يُدعى الناس إليها؟ وإيه القيم التي ينبغي إن يُحذر الناس منها؟

وبدأ بعد كده شيخ الإسلام يتكلم على معنى جميل قوي، في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الرفق، قال: "والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، الرفق يا جماعة ده من الحاجات الجميلة، من القيم العظيمة، من الحاجات التي أمرنا بها، "ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَه"[٦] يعني الرفق ده حاجة لما تدخل بتزين أي حاجة، يعني عارفين لما نقول فيه حاجة كده لما بتتحط في الأكل بيبقى الأكل دايما ريحته حلوة، وطعمه حلو، فيه حاجة لما تتحط في البيت البيت بيبقى دايما شكله جميل وريحته جميلة، فيه شخصية لما بتيجي في وسط القعدة، القعدة بتحس إن هي اكتسبت روح جميلة.

النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول إن فيه أسلوب من الأساليب لما بيكون موجود في الحياة كل حاجة في الحياة بتبقى حلوة، سواء كنا بنتناقش في مسألة، كنا بنتناقش في مشكلة، بنتناقش في بلاء، بنتناقش في معضلة، بنتناقش في أي حاجة، ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانَه يعني زَيّنُه إلا كان له قيمة، عكس الرفق يا جماعة؛ الغلظة الشدة، لما يكون الموضوع فيه شدة وفيه غلظة حتى لو بنتكلم في حاجة صعبة أو حاجة شديدة هي أيضًا كل شيء يحتاج إلى رفق.

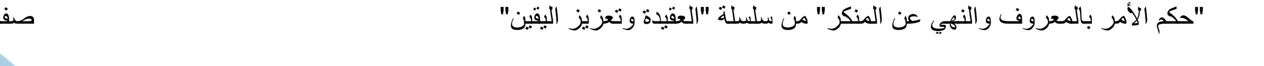
عارفين لما كان الجزار بيقطع اللحمة فبيقطع اللحمة بصورة فيها نوع من أنواع الشدة، وبعد كده جاله واحد تاني قال له انت بتعمل إيه؟ انت ليه شديد كده؟ قال له: ما هي اللحمة عشان تتقطع محتاجة شدة، فقال له: لا لا لا، هات السكينة كده وبدأ يحرك السكينة على اللحمة بطريقة بسيطة سهلة، وبدأ يذهب بها ذهابًا وإيابًا فانقطعت القطعة التي أراد أن يقطعها، فقال له: جربت الشدة واللين فرأيت اللين أقطع، قال له: أنا لما جيت أجرب ده وده لقيت إن كل حاجة تعرف تاخدها بالشدة تعرف تاخدها باللين، النبي –عليه الصلاة والسلام– كان رفيقًا

---

[٤] مسند أحمد

[٥] صحيح مسلم

[٦] صححه الألباني





في كل حال، الأصل في معاملات النبي –صلى الله عليه وسلم– الرفق، أحيانًا كان صحيح النبي –عليه الصلاة والسلام– كأنه منذر حرب، أحيانًا النبي –عليه الصلاة والسلام– كان ممكن يشتد، وأحيانا النبي –عليه الصلاة والسلام– كان ممكن يتكلم بكلمة فيها نوع من أنواع القوة والصلابة والحزم الشديد ويكون هذا من الحكمة، وهذا مهم جدًا في موضعه، لكن غالب حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت رفيقة. لو جيتوا تبحثوا كده المواضع التي اشتد فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– على أحد أصحابه مثلًا لما اشتد على أبي ذر وقال: إنك امرؤ فيك جاهلية، أو اشتد على عمر لما قال: ما لك وصاحبي لقد أغضبتموني أو لقد كذبتموني وصدقني أبو بكر في حديث الخلاف بين أبي بكر وعمر في الصحيح، هتجدوا إن المواقف اللي اشتد فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– مواقف قليلة جدًا، وتجد إن الناس اللي اشتد عليها النبي –عليه الصلاة والسلام– ناس تقيلة جدًا، وتجد إن دين الناس دي كان دين عالي جدًا، وإن الحاجة اللي هم عملوها كانت حاجة تستحق هذه الشدة.

هنا نقطة مهمة يا جماعة إن شيخ الإسلام بيتكلم عن إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مش معناه إن احنا بنشتد على الناس، وإن احنا بنزجر الناس، وإن احنا بنغلظ على الناس، وإن احنا بنشتم الناس، وإن احنا بنهين الناس، وإن احنا بنكسر الناس، إنما معناه إن احنا محتاجين إن احنا نعرف أسلوب النبي –صلى الله عليه وسلم– في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محتاجين نعرف أسلوب النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– كان أحسن الناس خلقا، لو احنا هنلخص الدين كله؛ الدين كله أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، كل الدين يدعى إليه، يعني لو شيخ الإسلام هنا اتكلم على قيم الشرعية وأهمية القيم الشرعية وأولويات القيم الشرعية، لكن مهم جدًا إن احنا نعرف إن الدين كله هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني هل مثلًا ندعو الناس إلى إماطة الأذى عن الطريق؟ مش ده معروف؟ آه، ما دام معروف والنبي –عليه الصلاة والسلام– أمر به يبقى يدعى الناس إليه، هل ننهى الناس عن مثلًا إيذاء القطة؟ آه، يُنهى الناس عن إيذاء القطة، يعني لو شفت واحد بيضايق قطة وقعد يعذبها في الشارع، أنهاه عن ذلك؟ آه انهاه عن ذلك، فهو ده منهي عنه شرعًا؟ ما دام منهي عنه شرعا، آه يبقى احنا ننهى عنه. الدين كله على بعضه بأخلاقه بعقائده بشرائعه بمعاملاته كل الدين هو يؤمر به وينهى عمّا نهى الله –سبحانه وتعالى– عنه.

فهنا شيخ الإسلام بيقول: والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني احنا عايزين نعرف طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبقى محتاجين نتحلى بالرفق، محتاجين نتحلى باللين، شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" طه٤٣:٤٤، ربنا –سبحانه وتعالى– بيتكلم عن فرعون؛ فرعون بيقول لهم: أنا ربكم الأعلى، فرعون بيقول لهم: ما علمت لكم من إله غيري، وربنا –سبحانه وتعالى– بعث سيدنا موسى إلى فرعون واصطنع موسى –عليه السلام– على عينه حتى يكبر موسى ويشب موسى لأداء هذه المهمة الصعبة التي لم يستطع أحد من بني إسرائيل أن يفعلها، مهمة صعبة جدًا انك انت هتقف قدام رجل بيقول للناس أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من إله غيري، والناس كلها مصدقة وبيقولوا صح فعلًا انت كده، "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" الزخرف:٥٤، سيدنا موسى لما يذهب إلى فرعون يكلمه شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول لسيدنا موسى: فرعون طغى؛ يعني تجاوز الحد يعني تكبر على خلق الله، يعني تكبر على أمر الله، طيب متوقع بقى إن هو بما إنه طغى هيحصل إيه؟ هيحصل بقى صاعقة وهيحصل حرب هيحصل مشكلة هيحصل سيدنا جبريل يخسف به الأرض، تفاجأ إن ربنا بيقول لسيدنا موسى في معرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" طه:٣٨، ربنا بيقول لهم الأول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محتاج منك انك تبقى لين، محتاج انك تختار ألفاظ لينة، محتاج انك تختار أسلوب لين، محتاج انك تعرف تتكلم ازاي مع اللي قدامك، وتعرف انت بتكلم مين، وتعرف انت هتقول له إيه بالظبط.



فشيخ الإسلام هنا بينوه على إن أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لو انت عايز تأمر وتدعو وتنهى وتتعلم دين وتدعو إلى الدين وتكلم الناس في الدين علينا أن نتعلم أسلوب ذلك، "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" النحل:١٢٥.

يبقى عندنا يا جماعة الحكمة اللي هي أسلوب من الأساليب اللي هي فعل أفضل الأشياء بأفضل العلوم في أفضل وقت على أفضل وجه، اللي هو عارفين بيقولوا فلان حكيم، بيقولوا لا يكون الرجل حكيمًا حتى يكون حكيمًا في أقواله وحكيمًا في أفعاله، إن واحد يكون بيعرف بيقول إيه؟ فين؟ لمين؟ ازاي؟ فهنا ربنا أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بالحكمة قبل ما يأمره بالموعظة الحسنة، إن فيه ناس محتاجة للحكمة، وفيه ناس محتاجة الموعظة الحسنة، وفيه ناس محتاجة وجادلهم بالتي هي أحسن.

ناس عندها شبهات، وفيه ناس محتاجة قلوبها تتحرك بالموعظة الحسنة، وفيه ناس محتاجة تُعَلَّم، ولذلك كان هذا من أقسام الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، إن ممكن واحد يكون دوره في الدين إن هو ينشر الدين، وممكن واحد يكون دوره في الدين إن هو يُعلم الدين، وممكن واحد يكون في الدين إن هو يدافع عن الدين، وممكن واحد يكون دوره في الدين إن هو يقيم الدين، يعني فيه واحد بيحقق الدين حقيقةً في حياة الناس، وفيه واحد بيدافع عن الدين، وفيه واحد مثلًا ضد الشبهات وضد الأباطيل وضد البدع، وفيه واحد إن هو بيدعو الناس إلى الدين، والدعوة بقى في مراتب مختلفة والتفاوت؛ سواء دعوة يعلمهم أو يتلو عليهم آياته أو يزكيهم، سواء بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء بتعليم الأحكام، سواء بتبليغ القرآن تبليغه معنى أو لفظًا، بتسأل بتقول: هو أنا عشان أبلغ آية "بلغوا عني ولو آية" هل أنا يُشترط إن يكون عندي العلم الكامل في هذه الآية؟ يعني إيه العلم الكامل؟ هل العلم الكامل ده؟ يعني أكون مفسر زي مثلًا محمد بن جرير الطبري مثلًا، ولا أكون مثلًا مفسر زي ابن كثير، يعني إيه العلم بالكامل بالآية؟ لا، المقصود هنا "بلغوا عني ولو آية" يعني كل من بلغته آية ووعاها يستطيع أن يؤديها، فيه واحد يعرف يؤدي اللفظ فقط دون المعنى، وفيه واحد بيعرف يؤدي المعنى، وفيه واحد بيعرف يستنبط من المعنى دلالات وأشياء ينير بها حياة الناس، كل واحد على قدره. لكن هنا مش المقصود إن عشان يبلغ الآية لازم يحصل كل علوم الحياة عشان يتكلم في هذه الآية وإلا فإن العلم لا ساحل له، يعني "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" يوسف:٧٦.

هنا شيخ الإسلام بيتكلم عن الرفق في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر بغير منكر، يعني هنا بدأ يحط هو قاعدة إن بيقول: إذا انت أردت أن تأمر بالمعروف فعليك أن تعرف ما هو المعروف وعليك أن تعرف أسلوب توصيل المعروف، وإذا أردت أن تنهى عن المنكر فعليك أن تنهى عن المنكر من غير أن ترتكب انت منكر، يعني بيشير إلى معنى إن أحيانًا ممكن إنسان يأمر بالمعروف؛ وهو بيأمر بالمعروف هو نفسه بيعمل منكر، لإنه مثلًا بيستكبر على الناس، إن هو بيستعلي على الذي يأمره، إن هو بينتقم منه، إن هو بيفضحه، هنا هو أمره بالمعروف لكنه ارتكب منكر كبير، إن هو مثلًا هتك ستر مسلم، إن هو تجسس، إن هو تحسس، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: لا تجسسوا أو لا تحسسوا، إن هو اغتاب، إن هو فضح إنسان، إن هو هتك ستر إنسان، إن هو تكبر على إنسان بيأمره وينهاه ويتكبر على إنسان مسلم.

فهنا شيخ الإسلام بيقول إن انت لو عايز تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر عليك أن تأمر بالمعروف بالمعروف، يعني عليك أن تأمر بالمعروف بالأسلوب الذيُ مِرنا أن نأمر به بالمعروف، اللي هو أسلوب الرفق واللين ومعرفة الحكمة في ذلك، وإذا أردت أن تنهى عن المنكر فانهى عن المنكر بغير أن ترتكب انت منكر، يعني مش لازم أنا عشان أنهى عن منكر أقع أنا في منكر أعظم منه، إن أنا ابقى أنا رايح أنهاه عن منكر فأفاجأ إن أنا عملت منكر زي المنكر اللي إيه؟ اللي أنا نهيت عنه، بقيت أنا كمان محتاج انهي عن المنكر، وتبقى سلسلة من المنكرات تحت ستارة أو تحت نضارة أو تحت زعم إن احنا بننهى عن المنكر.

فبيقول: "ولهذا قيل ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر بغير منكر".



شوفوا لما جاء يهودي يسب النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال: السام عليكم، السام عليكم، هنا هو الراجل بيلعب بالكلام، الراجل بيدلس في الكلام، بدل ما يقول: السلام عليكم قال: السام عليكم، شكلها كده شكل بعضها، كلمة السام يعني الموت، والسلام ده دعوة ده تحية الإسلام، فهو بدل ما هو يقول: السلام عليكم، هو بيقول للنبي –عليه الصلاة والسلام–: السام عليكم يقصد به الموت عليكم، وهو الكلمة معدية كده في السريع، مين اللي لقط الكلام وخد باله من الكلمة؟ أم المؤمنين عائشة. أم المؤمنين عائشة لما لقطت الكلمة قالت لهم: بل أنتم عليكم السام واللعنة وغضب الله –سبحانه وتعالى– عليكم أحفاد القردة والخنازير. فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: يا عائشة لا تقولي ذلك، قال لها: ليه تقولي ده؟ "ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَه"، أنا كفيتك، هو قال لي: السام عليكم، قلت له: وعليكم، وخلاص، خلص الموضوع، هو قال لي: السام عليكم؛ بيشتمني، ومتخيل إن أنا مش فاهم إن هو بيهزأ بيا بيسخر مني فأنا قلت لهم: عليكم، وخلاص، مش محتاج انك انت تردي بكل هذه الإيه؟ بكل هذه الطريقة.

فهنا الرفق. إن احنا يا جماعة أُمرنا إن احنا نكون عندنا رفق في المعاملة، رفق مع أنفسنا، رفق مع إخواننا من أهل الدين، رفق مع الناس عمومًا، رفق مع الظالم نفسه؛ مع صاحب الكبيرة، رفق مع الإنسان المتدين. فيه ناس تقول لك: لأ بما إنه بقى متدين يبقى لازم ما بيغلطش، ازاي يعمل كده؟ ويبدأ يحاسب الإنسان المتدين ده أو الإنسان اللي بيتقرب إلى الله أو الإنسان اللي هو شايفه في مرتبة من المراتب مثلًا بيصلي، ملتحي، أو منتقبة أو بيقرأ قرآن أو مثلًا مرة من المرات شافه بيعمل عمرة أو بيعمل حج يبدأ بيعامله بطريقة مثالية. ليه ليه يا جماعة؟ خلينا عندنا رفق. إذا كان ربنا –سبحانه وتعالى– قال لسيدنا موسى إن هو يقول لفرعون: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" طه:٤٤، ليه احنا بنتعامل مع بعضنا البعض بهذه الصلافة أو بهذا العنف؟ محتاجين يبقى عندنا رفق في المعاملة، رفق في الكلمات، رفق في الأفكار حتى، إن احنا يبقى عندنا رفق مع الفجار، مش معنى كده إن أنا مش شايف إن اللي بيحصل ده فجور، أو بسمي المعصية بغير اسمها، خلي المعصية هي المعصية، فيه ناس بتفهم الرفق ده إن هو ما ينفعش إن أنا اسمي المعصية بغير اسمها، يعني ما تحبش تسمي قلة الحياء قلة حياء، ما تحبش تسمي التبرج تبرج، ما تحبش تسمي الزنا زنا، ما تحبش تسمي الفجور فجور، إنما تسميه أي اسم تاني، لا لأ، خلينا نقف عند حد الله –سبحانه وتعالى–، أيوه المعصية هي المعصية، أيوه ده اسمه زنا، أيوه ده اسمه ربا، أيوه ده اسمه فجور، خلينا نقف مع المسميات؛ الطاعة والمعصية هي هي، خلينا نقف مع حسن الخلق إن اسمه حسن الخلق، والوفاء اسمه وفاء، والأمانة اسمها أمانة ما اسمهاش واحد بياخد على قفاه اسمها أمانة، والإنسان الطيب وسليم الصدر ده إنسان طيب وسليم الصدر وده يحمد له ويكون له زخر عند الله –سبحانه وتعالى–، خلينا نسمي الطاعة طاعة ونسمي المعصية معصية، لكن مش معنى إن أنا مسمي المعصية باسمها وعارف إن اسمها معصية إن أنا أتعامل معها تعامل بغير أمر شرعي، خلينا نسميها اسمها الشرعي وخلينا أيضًا نتعامل معها كما أُمرنا أن نتعامل بها بأمر الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "وإذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح".

هنا نقطة، شيخ الإسلام يا جماعة بيشير إليها، ويمكن من أهم نقاط هذا الكتاب هذه النقطة، إيه الإشارة التي يشير إليها؟ إيه التقرير اللي شيخ الإسلام عايز يقرره في هذا؟ بيقول: إن يا جماعة لابد من النظر مش بس لأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك إلى المآلات، إلى مسألة المصلحة والمفسدة، إن أحيانًا بيحصل مصلحة وأحيانًا بيحصل مفسدة، طب إيه المصلحة والمفسدة؟

هنا شيخ الإسلام الأول قرر التقرير، إيه هو؟ قال إن الكتب نزلت والرسل أرسلت لأجل إقامة المصالح وتعظيم المصالح ورفع المصالح وتحقيق المصالح وتكميل المصالح، وكذلك بُعِثَت الرسل وأُنزِلَت الكتب لأجل تقليل المفاسد وإزالة المفاسد، طيب أحيانًا بيكون معيار المصلحة والمفسدة ده معيار وهمي، معيار دماغي معيار فكري، يعني مثلًا فيه واحد بيعظم أوي الحالة النفسية، فيبقى المصلحة بالنسبة له إن فلان



حالته النفسية تبقى حلوة، فيه واحد أوي بيعظم الفلوس، فيبقى المصلحة بالنسبة له إن فيه مكسب مادي؛ فلوس، فيه واحد أوي بيعظم المنصب، فيبقى بالنسبة له المصلحة العظمى إن المنصب الفلاني هو يناله، فبالنسبة له هو بيرى هذه المصلحة كبيرة جدًا وعنده استعداد إن أي مفسدة تُرْتَكب لأجل تحصيل المصلحة اللي هو يراها هو مصلحة.

فبدأ أول حاجة شيخ الإسلام بيقررها بيقول: إن الدين عموما جاء بتحقيق المصالح وتقليل المفاسد، وبيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أعظم الواجبات والمستحبات، يعني أحيانًا في حق واحد هو واجب عليه وأحيانًا في حق واحد هو مستحب، زي ما احنا اتكلمنا في مسألة الفرض الكفاية والفرض العين ومش معنى إن هو فرض كفاية إن بقية الأمة ما تعملوش، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على العلماء طيب لو مفيش علماء؟ يبقى واجب على الأمة، وكل من له قدرة على التعلم، وكل من عنده مساحة من إن هو يقيم هذه العبودية فعليه أن يفعلها قدر استطاعته، طيب ويجب كذلك على أصحاب السلطان وأصحاب المناصب إن كل واحد يسهل وصول الدين إلى الناس، ويسهل دعوة الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–.

بيقول إن مبنى الدعوة قايم على مآلات كذلك، زي ما هو بيقول إن من أسلوب الأمر بالمعروف والنهي المنكر ممكن الرفق، كذلك مقالات المآلات، يعني إيه المآلات؟ يعني ما يترتب على ذلك. يعني مش فكرة إن أنا أقوم قايل كلمتين وخلاص، طب إيه اللي هيترتب على ذلك؟ يعني إيه اللي هيترتب على هذا الكلام؟ إيه اللي هيترتب على هذه الفتوى؟ إيه اللي هيترتب من فهم الناس ومن حمل الناس على ذلك؟ إيه اللي هيحصل بعد ذلك؟

فبيقول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تكون المصلحة فيه راجحة، يعني إيه المصلحة راجحة؟ يعني أنا غلب على ظني إن فلان ده لما أنا هأمره بالمعروف إن هو هيتحقق مصلحة معينة، طب إيه المصلحة؟ قال لك: أول مصلحة هي كل ما أمر الله به فهو صلاح، يبقى هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيعود مرة أخرى على بدء ليوضح أن المصلحة كل المصلحة في الوحي، يعني إيه المصلحة؟ إيه معيار المصلحة؟ معيار المصلحة والمفسدة هو اتباع الوحي، يعني ازاي أنا أعرف إن أنا بعمل صح؟ إن أنا باتبع أمر الله –سبحانه وتعالى–. "كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ" الأعراف:٢، إن احنا أُمرنا إن احنا نتبع الوحي، "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ" الأعراف:٣، إن احنا أُمرنا إن احنا نتبع الوحي، أُمرنا إن احنا نتتبع سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، أُمرنا إن احنا نسير وفق كلام الله –سبحانه وتعالى–، أُمرنا إن احنا نستبصر ونستضيء ونعرف الخير من الشر بمعيار الوحي.

يبقى هنا بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبني على المصلحة وتحقيق المصلحة ومعيار ده هو إيه؟ هو كل ما أمر الله به، كل ما أمر الله به فهو صلاح.

يبقى لو واحد قال لك لا لا لا، هو احنا محتاجين نحقق الصلاح والإصلاح؟ تقول له تمام، طيب، يبقى نحقق الصلاح والإصلاح إن احنا نلغي الآية دي، مثلًا نلغي الختان، مثلًا نلغي الطب، نلغي مثلًا الصلاة، نلغي الزكاة، نلغي الصيام، ليه؟ يقول لك: أصل الصيام بيحقق مفسدة أو الصلاة بتحقق مفسدة فبالتالي احنا نلغي هذه الصلاة لكي نحقق الإصلاح، لإن الدين جاء بالصلاح والإصلاح. تقول له لأ، الدين جاء بالإصلاح والصلاح صحيح، ولكن معيار هذا الصلاح والإصلاح هو الوحي، لذلك قال الله –سبحانه وتعالى– عن طائفة من الناس من المنافقين في مطلع سورة البقرة: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ" البقرة١١:١٢، إن فيه ناس متخيلة نفسها مصلحة لكن إصلاحه على وفق معياره الخاص على وفق هواه، على وفق ما يراه هو لا على وفق وحي الله –سبحانه وتعالى–.

فهنا شيخ الإسلام بيوضح إن الشريعة أو إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبناه على تحقيق المصلحة الراجحة ودفع المفسدة الراجحة، وأن معرفة ذلك يكون بمعرفة الوحي، فكل الخير وكل الصلاح والإصلاح نابع من هذا الوحي، قال: بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، كل



أمر من الأمور الشرعية، سواء الأمر ده أمر مباشر، سواء الأمر ده دلالة على شيء معين، سواء الأمر ده أمر واجب أو مباح أو مستحب، سواء النهي ده نهي عن منكر، نهي تحريم أو نهي تنزيه، كل ما نهى الشرع عنه فهو من الصلاح، وكل ما أمر الله به فهو من الصلاح.

قال: "وقد أثنى الله –سبحانه وتعالى– على الصلاح والمصلحين والمصلحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم الفساد والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به، وان كان قد تُرِكَ واجب وفُعِلَ محرم"، هنا بقى يا جماعة نقطة مهمة جدًا بدأ شيخ الإسلام يتكلم فيها بيقول: إن أحيانًا بيتعارض مصلحة ومفسدة، بيتعارض أمر ونهي. يعني إيه؟ مثل سريع كده خلينا نفهم به، لو مثلًا احنا عندنا شيخ بيعلم الناس دين وعنده أتباع كثر وبيعمل حاجات خير كتير لكنه فيه مسألة معينة من المسائل هذه المسألة عنده فيها مشكلة وهي عنده خطأ، هنا هل أأمر الناس بأنها تتبعه لاعتبار إن هو بيدل الناس على الله، وإن هو مثلًا عنده حاجات جميلة عن الله –سبحانه وتعالى–، وإن هو بيدل الناس على سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، والا أنهى الناس عن اتباعه؟ لإنه عنده بعض الأخطاء في بعض الأشياء تبينت لي وعارف إن هو خالف فيها كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–. هنا تعارض مصلحة ومفسدة، هنا تعارض خير وشر، هنا تعارض إن أنا محتاج إن أنا آأمر وأنهى، وأغلب الناس مش بتسمع الكلام على بعضه، وبيسمع حتة واحدة ويسيب الباقي، يعني لو هو قلت له والله فلان ده عنده خير؛ فيه واحد اتنين تلاتة أربعة ما بيسمعش حاجة تانية، بقى فلان ده بالنسبة له معصوم، لو قلت له فلان ده جميل وكويس بس عنده خطأ في واحد اتنين تلاتة أربعة ما عدش بيسمعه خالص لإن هو عايز يسمع حد معصوم وده مش موجود، فهنا شيخ الإسلام بيشير إلى مسألة: بيقول إيه؟ إن إذا وجد مصلحة راجحة؛ المصلحة الراجحة يعني فيه أمر شرعي كبير معظم عند الله –سبحانه وتعالى– له قيمة كبيرة –وده هنفصل فيه كتير في الفصل اللي جاي إن شاء الله في هذا الموضوع، ويعني محتاجين نفصل فيه شوية في مسألة تعارض المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– إذا تعارض الاتنين نعمل إيه؟ فهنا بيقول إذا تعارض المفسدة مع المصلحة فبيقول شيخ الإسلام: "أثنى الله على الصلاح والمصلحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم الفساد والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به"، بيقول لو إن احنا نهينا عن الفساد، فكان النهي عن المنكر ده هيؤدي إلى مفسدة أعظم، مثلًا واحد بيشرب سجاير وهو سيء الخلق مثلًا فراحت أمه تقول له ما تشربش سجاير وقامت مزعقة معاه، قام سب بالدين، هنا ترتب على النهي عن المنكر منكر آخر، عق أمه وسب بالدين، هل هنا الأم دي المفسدة اللي هي كانت راحة تنهى عنها، حققت المصلحة من النهي؟ لأ ما حققتهاش، طيب هل ترتب على هذا النهي عن المنكر مفسدة أعظم منه؟ آه، ترتب عليها. إيه هي؟ إن هو عق أمه وإن هو سب بالدين؟ يبقى مفسدة إنه يشرب سجاير ولا مفسدة عقوق الوالدين وسب الدين؟ هنا بقى فيه مفسدتين، بقى فيه مفسدة مترتبة على نهي عن مفسدة.

فهنا شيخ الإسلام بيقول: فحيث كانت المفسدة في الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن هذا مما أمر الله به، يبقى كان المفروض إنها هنا إنها تسكت، يعني إيه ما تنهاش؟ لا، هيبقى في طريق تاني، هيبقى فيه مقدمات تانية، لكن هي محتاجة توازن بين المفاسد بعضها البعض، وإن كان قد تُرِكَ واجب وفُعِلَ محرم، يعني لو هي سكتت هيترتب على ذلك ترك واجب اللي هو إيه؟ إنها رأت منكر ولم تغيره وفعل محرم إن هو قاعد بيشرب سجاير وضيع صحته وضيع فلوسه في شيء مضر، لكن هي إيه اللي خلاها تسكت عن هذا الضرر؟ ليس لإن هذه المعصية ليس فيها مفسدة إنما لأنه ترجح عندها أن هناك مفسدة أعظم من هذه المفسدة.

يبقى يا جماعة في هذا التقرير الرفق كأسلوب مسألة مهمة جدًا، والأساليب الدعوية ينبغي إن تحلى بالرفق.

رقم اتنين إن المصلحة ورجحان المصلحة، وإذا ترتب مصلحة راجحة يبقى حينها ينبغي إن يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، والمصلحة الراجحة ضابطها الشرع وليس الهوى، وليس الاختيارات الحياتية وليس المصالح الشخصية، إنما ضابطها الشرع.



رقم تلاتة إذا كان فيه مفسدة أعظم، نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ آه نتركه، نتركه ليه؟ نتركه لإن هيترتب على النهي عن المفسدة مفسدة أكبر منها، فبالتالي يبقى اللي احنا كنا رايحين ننهى عنه تعظيمًا لأمر الله تسببنا في إن لا احنا عظمنا ربنا –سبحانه وتعالى– ولا اللي موجود ده عظم ربنا –سبحانه وتعالى– ولا الخير انتشر، يبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا حقق مفسدة فعشان كده بيقول إيه؟ بيقول: فحيث كانت مفسدة الأمر بالمعروف أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به، وان كان قد تُرِك واجب وفُعِل محرم.

يبقى هنا يا جماعة اعتبار المآلات، عارفين كان مرة لما دخل جنود التتار إلى بلاد المسلمين، فكانوا بيسكروا، فبعض المشايخ راحوا قالوا لشيخ الإسلام قالوا احنا هننكر عليهم شرب الخمر، الخمر حرام، وما ينفعش يشربوا الخمر في شوارع الإسلام، قال لهم لا ما تنكروش عليهم شرب الخمر، فقالوا له ليه؟ الخمر حرام ده محرمة بالإجماع ده كلام ربنا، قال لهم يا جماعة ما هم لما مش هيشربوا الخمر هيحصل إيه؟ هيفوقوا، ولما يفوقوا يحصل إيه؟ هيقعدوا يقتلوا في المسلمين، طب إنه يقتلوا في المسلمين أحسن؟ ولا يشربوا الخمر ويفضلوا سكرانين ومش فايقين؟ فيقولوا لا يفضلوا سكرانين ومش فايقين، قال لهم خلاص سيبوهم سكرانين، ده مش معناه إن الخمرة مش حرام، لكن هناك مفسدة مترتبة راجحة عند هذا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من نهيه عن هذا المنكر والأمر بالمعروف. زي مثلًا كده واحد بيشتغل في الحرام بيتاجر في المخدرات مثلًا، ولا واحدة مثلًا بتشتغل في الحرام مثلًا في الدعارة ولا في أي حاجة حرام، وبعدين واحد قعد يأمرها بإنها مثلًا لابد أن تتصدق، طبعا الأمر بالصدقة أمر عظيم مهم جدًا لكن ما وضحلهاش إنها تتصدق من حلال، فالست عملت إيه؟ راحت تشتغل في الحرام أكتر وتتاجر في المخدرات أكتر أو تتاجر في الدعارة أكتر أو تعمل دعارة أكتر عشان إيه؟ عشان تجيب فلوس أكتر عشان تتصدق، لا لا لا ما كنتش تأمرها بالصدقة خالص، ليه؟ لإن انت أمرك بهذا دون توضيح هذا سيؤدي إلى مفسدة أعظم، إن هي ضلت ناس كتير وإن هي أفسدت كتير في الأرض عشان تأتي بمصلحة انت تظنها مصلحة. وده باب من الأبواب المهمة جدًا، قال: وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم، إذ المؤمن عليه إن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" المائدة:١٠٥، أي أقيموا الدين في نفوسكم، وحياتكم وفق وسعكم، وضابط هام في المصلحة إن ليس هو هداية الناس، إنما الضابط في المصلحة هو إقامة الشرع.

هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيقيم الحجة وبيستدل بهذه الآية على إن الضابط "ليس عليك هداهم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم". فبيقول: إن الضابط ليس معنى المصلحة هو هداية الناس، إنما معنى المصلحة هو امتثال أمر الله –سبحانه وتعالى–، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، بيقول: لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، يعني إيه اهتديتم؟ يعني أنتم فعلتم الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال، وذلك يكون تارةً بالقلب وتارةً باللسان وتارةً باليد، فأما القلب فيجب بكل حال إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس بمؤمن كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ في حديث "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"، وفي رواية ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.
وقيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ قال الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

هنا شيخ الإسلام بيقول إن لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، يعني إيه اهتديتم؟ يعني أنتم أقمتم أمر الله –سبحانه وتعالى–، فأقمتم أمر الله –سبحانه وتعالى– ازاي؟ قال لك أقمتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بإيه وهو من أمر الله –سبحانه وتعالى–؟ قال لك أحيانًا بالقلب وأحيانًا باللسان وأحيانًا باليد وأقل حاجة خالص اللي مفيش فيها اللي هو عارفين اللي هو إيه؟ إن أنا كاره المعصية؛ كارهها اللي هو معنديش نوع من أنواع التعايش السلمي ولا حب المعصية، إنما كاره المعصية، ليه كاره المعصية؟ لأنها بتغضب ربنا –سبحانه وتعالى– فأنا مش حابب، حتى لو معرفتش أقول حتى لو معرفتش أنهى لكن أنا مش حابب، مش عايز، رافض، إرادتي مخالفة لهذا. قيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ قال: الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.



وهذا هو المفتون الموصوف في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم-: "تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ"[٧].

فهنا شيخ الإسلام بيقول: إن أقل حاجة في الهداية هي هداية القلب، وهداية القلب هو أمر القلب بالمعروف ونهيه عن المنكر، وازاي إن القلب يعرف المعروف وينهى عن المنكر؟ إن هو يكون غير راضي بالمنكر ويكون محب للمعروف، وده أقل الهداية، اللي هو لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وقال إن إذا ده ضاع فتبدأ الفطرة تنتكس، وإذا الفطرة انتكست يحصل كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، يعني لما القلب يضيع يبقى معدش عارف معروف فين ولا منكر فين، اومال المعروف يبقى إيه؟ يبقى المعروف اللي هواه، كان في أحد المحاضرات الدكتور بيقول للطالبات عن الحجاب فقامت واحدة قايلة والله الحجاب مش فرض، فأحد الطلبة بيقول لي هو أنا متعجب بس هي ليه حلفت؟ وإيه اللي خلاها تقول كده؟ يعني أنا معنديش مشكلة إن انت تبقي محجبة أو مش محجبة، لكن هي أصبح المعروف عندها هواها، والمنكر عندها هواها، فالحاجة اللي هي بتحبها تبقى معروف، والحاجة اللي هي ما بتحبهاش تبقى منكر.

عارفين فيه ناس كده اللي هو بيعمل معصية فتقول له ده غلط وده حرام يقول لك لا لا لا أنا مش ممكن أعمل حرام، وبما إني أنا عملتها – كأنه بيستدل يعني– بما إن أنا عملتها إذًا هي حلال، فتبقى انت مستغرب هو معيار الحلال والحرام اللي انت عملتها أو اللي انت فاهمها؟ ولا معيار الحلال والحرام هو قال الله، قال النبي –صلى الله عليه وسلم-.

هنا اختم، بيقول شيخ الإسلام: وهنا يغلط فريقان من الناس:

فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلًا لهذه الآية، اللي هي آية "لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"، يعني فيه فريق لما يسمع هذه الآية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"، فبيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تماما، ليه؟ يقول والله هو ربنا قال كده لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وقد قال أبو بكر الصديق في خطبته إنكم تقرأون هذه الآية "عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" وأنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله –سبحانه وتعالى– بعقاب منه".

والفريق الثاني اللي هو فريق بيعمم طريقة دون فقه، قال: من يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إما بلسانه وإما بيده مطلقًا من غير فقه ولا حكم ولا صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، بيقول إن الأمر اللي احنا أُمرنا به إن احنا لا يضركم من ضل إذا اهديتم إن احنا أُمرنا أن نهتدي بهدي الله –سبحانه وتعالى–، وإن الهداية دي هداية القلب، وإن هداية القلب دي مع هداية الجوارح، وان الإيمان قول وعمل واعتقاد وان احنا أُمرنا إن احنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

فبيقول: فيه ناس يا إما قالت لك خلاص بقى أنا ماليش دعوة "عليكم أنفسكم" وكل واحد ينكب على نفسه ولا يأمر ولا ينهى ومالناش علاقة بالموضوع، وكأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمجتمع، لأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لك انت شخصيًا ده، عبودية لله –سبحانه وتعالى–، يعني أنا مش بتكلم عشان الناس تقول والناس تعيد، إنما أتكلم لأجل أن الله أمرنا أن نتكلم، إن بداية إن تحقيق المصلحة هو إقامة أمر الله –سبحانه وتعالى–، إن احنا نبلغ بها، إن احنا نحقق عبودية الله –سبحانه وتعالى–، إن احنا محتاجين ثواب الله، إن احنا

---

٧ صحيح مسلم




محتاجين نفر من عقاب الله بتحقيق عبودية الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–. فبيقول إن فيه ناس لما سمعت "عليكم أنفسكم" تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ده الفريق الأول.

والفريق التاني لما سمع "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"، بدأ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالقوة والغلظة واللسان في كل حاجة ونسي أن أحيانًا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب، ولابد من استحضار ومعرفة معنى الحكمة ومعنى الرفق ومعنى المصالح والمفاسد والموازنات في ذلك.

فبيقول الفريق الثاني من يريد إن يأمر وينهي إما بلسانه وإما بيده مطلقًا من غير فقه ولا حكم صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح وما يقدر عليه وما لا يقدر عليه كما في حديث أبي ثعلبة الخشني سألت عنها النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "بل ائتَمِروا بالمعروفِ وتناهَوْا عن المنكَرِ حتَّى إذا رأَيْتَ شُحًّا مطاعًا وهوًى متَّبَعًا ودنيا مؤثَرةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ فعليك نفسَك ودَعْ أمرَ العوَامِّ فإنَّ مِن ورائِكم أيَّامًا الصَّبْرُ فيهنَّ مثلُ قبضٍ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رجلًا يعمَلونَ مثلَ عملِه"[8]، هنا شيخ الإسلام أحسن إذ جاء بهذا الحديث وهو يضع حد: بيقول إن الإنسان عليه إنه يفهم امتى يأمر وامتى ينهى، وامتى يسكت، وامتى الكلام يبقى له لازمة، وامتى الكلام ما لوش أي لازمة، وازاي يأمر وينهى، فبيقول إن أبو ثعلبة لما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن هذه الآية فالنبي وضع له ضابط قال له: اعمل ده لكن إذا رأيت شحًا مطاعًا؛ يعني لو لقيت اللي قدامك مش بيفهم، شحًا مطاعًا وهوىً متبع ودنيا مؤثرة، يعني واحد وظيفته دنيته؛ لا فارق معاه حق ولا باطل ولا قضيته حق وباطل، "إذا رأيت هوى متبع" إذا رأيت اللي انت رايح تأمره وتنهاه ده عنده اتباع للهوى شديد، طب ما هو كل واحد عنده منكر أو محتاج إن هو يؤمر بالمعروف فيه جزء من اتباع الهوى، لكن هنا بيقول: إذا رأيت؛ يعني مسألة واضحة وضوح الشمس حاجة مش متشافة، "إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبع" واحد مش عايز يسيب، مش عايز يبذل، مش عايز يضحي، "إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه" واحد معجب عارفين "إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا" التوبة:٢٥، واحد معجب بنفسه وبرأيه وبأفكاره دون أن يتبع الوحي ودون أن ينكسر لكلام الله –سبحانه وتعالى–.

فقال في هذا: عليك إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي برأيه ورأيت أمرًا لا يدان لك به، يعني معندكش قدرة على التغيير لا بالكلام ولا باليد فاسكت، قال: فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائك أيام الصبر، وبدأ النبي –عليه الصلاة والسلام– يوضح له إنه يحقق عبودية الصبر على أمر الله، والصبر على إقامة دين الله في نفسه، وفي حياته، في وسط إخوانه، في وسط أولاده، قدر استطاعته، لأنه لا يستطيع أن يغير هذا الذي عنده شحًا مطاع وهوىً متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب برأيه وهو لا يقدر على ذلك، لا يدان لك به يعني لا تستطيع ولا تملك من أمرك شيء.

يبقى فيه ناس قررت إنها تفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إنه الغلظة والشدة والايد والقوة فقط، ودول أخطأوا.

وفيه ناس قررت إنها بما إن مفيش نتيجة أو بما إن المسألة صعبة وربنا قال: عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ فيبقى الواحد ينكب على نفسه ويترك الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، فتركه.

فهنا الفريقين أخطأوا في ذلك. ثم بعد ذلك وضح شيخ الإسلام أن الحق لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء.

اكتفي بهذا القدر وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله.

[8] صحيح ابن حبان

